مناقشات

القصور الذاتي في ((عجلتنا الدراجة))

بقلم حيدر حيدر

في ((عجلتنا الدراجة)) تلك القصة القصيرة التي استغرقت من الاداب حوالي الخمس عشرة صفحة يبدو الشرق ـ شرقنا القديم ـ يترنح في عطبه خلف حكاية بلهاء لا تني تمضع افعالا غيبية . اسطورة كابية منكفئة نحو أغوار تتلفع بالقصور الذاتي في شبه مذلة وهبوط ثقيل عبر حضارة خلفية مصابة بنوع من ردود الفعل الهمجية .

انه يبدو موقفا هروبيا . انسانه ابدا بعيد عن المواجهة الصادقة لعصر يتألق ولا يملك أي استعداد مشجع لابتلاع آلهته الخرساء المشلولة وتنصيب نفسه مكانها : انسانا حقيقيا يشنق جميع تفاهاته المنقرضة ويهدم مغارته المسحورة بألف عفريت وجان وشيطان مخلوقة من رعب دماغه المريض .

حتى يخيل للمتبع انناراوح في نقط مدنسة والعالم يزحف فوقنا بلا توقف . نوع من الدمل الذي طال شوقه للانفجار على هذه الارض التعبة من كثرة ما عفرت بها جباه ساجدة لعدمها .

ان اسئلة ثاقبة وجارحة من نوع : الى متى يستمر هذا النزيف الكئيب المذعور ؟ الاسطورة اللعينة المعاصرة : الجنس والدين ! متىندرك تجرئمها في خلايانا ؟ كم من السنين القادمة علينا ان نئن في كهوفها مرصودين تغطي مغارتنا خيوط العنكبوت، نهتريء في الظلمة ونصدأ ؟. وفي الخارج ضجيج الحياة وصخب الضوء والمهرجانات التي لا تكبح. نسلي انفسنا بالافيون المبتذل: ما زلنا نحيا ظهرنا ، ما زلنا نتمدد في البراءة التي لم تلوث .. ونحن منطلق الحضارات الروحية لامم تحترق اليوم في جحيم المباذل والضياع اللاأخلاقي ؟..

لا أود ان ادخل في التفاصيل الدهليزية العقيمة للفروق الحضارية ولا في الصراع بين روحانيتنا المبجلة المشبوهة وانفتاحية الغرب على كافة المعطيات الحيانية في محاولة صادقة وحقيقية للكشف وتعرية جميع ما نصنفه ونحياه في الظلمة . الدخول الشائك سيعمق شكوكا في قطاع الجانب الاخر المعقد الباحث عن حضارته في الكهوف الريبية وحفلات الزار والتواشيح والموالد ...

لكن ما هو حقيقي تماما ان حضارتنا لن تكون الا بالمواجهة والصدام وبالتالي التعرية لابسط المقومات الاخلاقية او بأصرح من هذا لعقدنا التي تكلس الذوات المريضة . ان ادبنا اليوم ـ اذا صح هذا التجاوز ـ يدور في هذه الدوامة الرهيبة ، يعاني ما يمكن تسميته محاولة ((الاقلاع)) من الارض التعبة على نفس هذه الارض ، وان كلمة ((معاناة)) هي الكلمة المكنة . فهو لا يشرط وبشكل فاجع الاسطورة السوداء المتصلبة بل يظل مشدودا الى مرتكزات بيئية ، ولهذا فهو في حرب مستعرة لان جيل المعاناة هذا يرفض بشدة الرضوخ او العودة الى الوراء .. للارض المزروعة بالعقم . وهكذا تتبدى المعركة غير متكافئة .. مموهة .. مهومة!

ان الملامسة لا الثقب .. التحويم حول المشكلة لا الانقضاض.. هو بداية مرحلية وستأتي لحظة غير فعالية نكون فيها بحاجة تاريخية للثقب والانقضاض كمرحلة حاسمة غير ظرفية اطلاقا .. واعتقد ان لا بد من ضحايا حقيقيين .

عندما اطلق المتزمتون في احدى حانات انكلترا النار على ((مارلو)) الشاعر الانكليزي لانه هاجم الله والكنيسة كان هذا الشاعر الربيعي العمر .. الرخص العود .. يفتح ثقبا في جدار الهيكل الرصاصي المنتصب في وجه المعرفة والبحث عن الحقيقة . وكان يدين بسقوطه عالمه الاحمق الهمجي !.

ان السؤال الان هو : لماذا لا يسقط مثقفونا ضحايا معتقداتهم ؟ لماذا لا يملكون جرأة الرجم ان كانوا يملكون نبض حضارة متفتحة .. او كانوا فعلا مثقفين ثوريين ؟؟ ان الفجيعة تنتفض : الدولة .. الصحف ..

في مكان ما من الادمغة الملوثة وغير الثورية يربض الذعر الديني والخوف الجنسي ، والدولة ـ أي دولة ـ في شرقنا ما تزال تحبو بامكانية فاشلة للاعتراف بجدوى الدين كطريقة من طرق الكسب الجماهيري لاتقاء ضربة الغضب المهووسة عندما تعصف بالرؤوس اللامدركة لدى أي مساس بشعائرها وطقوسها المقدسة فتتعنت الدولة بالالحاد وحماية المرقة غير الخنعين الذين لا يخنعون للطقس الديني ، وقد تسقط الدولة ـ اللاثورية ـ طبعا في حالة دقيقة من هذه الحالات غير الطبيعية ومع الاسى العميق ، الذي يواكب بخيبة واضحة، الجريئين الموهوبين من مثقفينا لم توجد بعد الدولة الحقيقية التي تحمي المثقف وتدرك العصر متخطية الارتداد الكهفي.

هذا فيما اذا استطاعت صحيفة ما ان تتمرد على عصرها وتجازف بالنشر وسط هذا العالم المسطوم بالحقد والهذيان الاخلاقي في شد وارتخاء وتميع بين الشرف والعفة والروحانية . ومن التحدي لطبيعة الوجود ان تولد الصحيفة في بيئة لاثورية تنوس في مخاض متشابك رخو غير متكامل . ان الصحف ترث الثورات تؤرخ لاجيالها ومع هذا هناك ايضا خيبة امل لا يمكن ارجاعها الا لعامل ربما بدا سلبيا ولكنه حقيقي تقريبا : القصور الذاتي في انساننا . ومن الاجحاف ان يكون هذا القصور مولودا مع الانسان بل هو تشكل طبقة رسوبية في قاع الانسان العربي يراكمها الخوف المزمن من الذات .. والاخر .. والله.. والسنن الاخرى .. وعلى هذا تولد الافكار في الظلمة .. تهوم فلا تجرؤ على الانقضاض خوف المطاردة والسجن والاعتداءات السوقية وربما التهم الملفقة التي قد تقود الى محاكم عرفية .

وهكذا تحت هذا الستار المرعب من الخوف الشامل يولد ادبنا طرحا في بعض وجوهه .. سديميا بلا توضح في وجوه اخرى .. مرمزا لدرجة انه يخيل اليك وانت تقرأ قصة ما تريد ان تشرط وتعري ، يخيل اليك وكأنها تهدف الى خدمة الجانب الثاني من المشكلة التي يود الكاتب فضحها وتعريتها تحت مجهريته .

. . . . .

ان ((عجلتنا الدراجة)) هذا العمل المتعوب عليه والذي كان من الممكن ان يكتب اكثر من مرة ليتخلص من بعض التشابك والافتعال والخارجية يبدو عملا ((اقلاعيا)) نازعا نحو التخلص من الشروش لتمزيق خيوط العنكبوت المتراكمة على باب المغارة محاولا ان ينجو ما امكن من عملية الاجهاض المرتقبة بالتهويم والترميز وحلولية المواقف.

((خيرية)) الانسانة المذعورة ابدا في عالمها الصقيعي المحروم من حفنة دفء . امرأة شرقية مغتالة بالولادة ، وهي قاصرة عن ادراك ذاتها المشطورة لدرجة انها تحس برغبة الذوبان في ((عبد الجبار)) في عملية افتراض خاطئة : ان عبد الجبار وجد ذاته . او ان عبد الجبار هو حقيقي.

فلكي تنعتق من وهمية اللاادراك تود ان تصبحه هذا المراهق الالهي المخدوع بحكايا الصلاة .. والله .. والعجلة الخلفية .

لكن ((عبد الجبار)) نفسه مخلخل .. ملوث .. يقول لخيرية :

ـ ((خيرية أتعرفين الحليب ؟ الحليب الدسم الطري من ضرع الجاموسة ، انك مثل الحليب . ان فيك كل ما تشتهي النفس وهذا هو سبب شقائك)) .

هذا الشبق الجنسي المبثوث تلمظ به صاحبنا في لحظة انفجار شهواني حتى ليكاد يصرخ: انت لي يا خيرية. انا اشتهيك كباقي الرجال. انا ظامىء للغب في هذا الحليب . وبحجم استجابة لرد فعل الخوف الالهي الكامن فيه المعرش في خلاياه محاولا قتل الشيطان الذي هو الانسان الحقيقي لانه الاستجابة الطبيعية كارادة حياتية قافزة هي معنى

الاستمرار البشري والعطاء الحي على الارض .

ترى لو تزوجت خيرية من « عبد الجبار » هل كان سيقول لزوجها: طلقها خير لك ستنال عقابا انت الاخر !!

لكنها فاجعة الابد : ان نحيا ابدا تحت الاردية في عوالم التجاذب بين الشيطان والاله ، بين الرغبة والذعر داخل معارك مفتعلة وغير حقيقية لا يستطيع فيها انساننا ان يكون ذاته.

جميع ابطال القصة معطوبون بالنوع ، منفيون عبر صحاري هروبية ماحلة ينتابهم القصور الذاتي كنوبة غير حسية رابضة في مكان ما من الدماغ الذي لم يتحرر : ومن بين اولئك المصابين بالعطب والقصور يبدو « السمان » زوج خيرية الثاني بطلا حقيقيا خلال اطلالته القصيرة في القصة . يصرخ في وجه عبد الجبار :

ـ اننا سعداء في هذه الجهنم.

يتلذذ في جحيمه بلا ذعر ولا خيوط عنكبوتية ، يقبض على لحظاته المعرضة للفرار في اية لحظة غير منتبهة . علينا ان نسرق لحظات عمرنا التي لا تتكرر .

لعل هذا النموذج قد ادرك بحسه السليقي المشبع بالعفوية معنى الحياة المجردة من الارتعاد الغيبي. ولست ادري لماذا لم يمتد الكاتب مع هذا الثاقب والصادم في نفس الوقت ليتركه يمارس كشف اللعبة حتى النهاية ؟

وليس الزوج الثاني هو النموذج الوحيد بمروره الخاطف في القصة فهناك الطلاب السوريون الثلاثة وهم يبدون كفجوة معروقة بالندم رغم ان عطبهم الفلسفي واضح ، فحتى هؤلاء المشلوحون في اعماق الصقيع لا يقدمون حلا ناجزا « لخيرية » الارض التعبة في دورانها الذي لا ينتهي بحثا عن ذاتها .

فرغم انسانية « لطف » في محاولة يائسة مشبوهة لاعادة الهدوء والسلام الى اعماق خيرية واشعارها بانها حرة تأتي الى البيت بارادتها وترحل متى شاءت . رغم هذه الانسانية المؤشرة الملفومة فان خيرية لم تفهم بعد : لماذا طردتها زوجة « دسوقي » الاولى وتخلى عنها «دسوقي» نفسه ؟ بل لماذا تزوجها اذا كان سيتركها ؟

ورغم الاحساس الجنسي المفضوح الذي غمرها به « اديب » : المهم ان تروي غليلنا وتبقى . ثم حساسية « سعد » الميتافيزيقية المفرطة ومحاولاته العاثرة لاذابة عقدة الاثم في اعماقها لكنها حساسية مشحونة باللامبالاة وعدم الفهم العمقي لكارثة تمزقها .

رغم تطابق هذه الاحساسات المتفاوتة في ثقلها فان خيرية قد هربت الى لا رجعة . لقد كانوا بنظرها ثلاثة ذئاب شرقية جائعة تبحث عن الطعام على سطح الجليد . لهم ازماتهم الفردية التي لا تفاجأ بشمس .

ومع هذا فان « سعدا » بحدسه الخارق في لحظة من لحظات تفجر الوعي يدرك شمولية المأساة على نحو سلبي مطلق ، ادراكا حقيقيا معقولا ربما يتناقض بوضوح مع الموقف المتمرد « لكامو » : ما الذي يمنع الانسان من الموت اذا كان يعيش بثلث الكرامة التي ينبغي ان يعيش بها الانسان ؟

يرد لطف : هل تعني خيرية ؟

يخطب سعد : اقصد كل هؤلاء التعساء المتمسكين بالمثل العليا.

ويجيء الرد شموليا ايضا مسفوحا فوق ذرى العالم المقهور . فبجذل مأساوي حاد وبضربة فلسفية جارحة يزعق لطف : لعله لا يعلم ان كل الدراجات والعجلات التي في العالم عاطبة ...

هذا الهتاف التقريري الفاجع ينطرح ويمتد رادا بشكل عمومي على كل التساؤلات الاخرى ، مبررا القصور الذاتي . ولكنه رغم حداثته لا يقدم حلا للمشكلة المطروحة ، فالمنفذ ما يزال مسدودا وكل الدروب معتمة في وجه «خيرية» وشوارع القاهرة مقذوفة بالشواظ خرساء تزين جدران منازلها لافتات شرقية مليئة بعلامات الاستفهام السوداء.

ان الابناء غير الشرعيين لهذا العصر ـ كما صرح لطف ـ مقذوفون عبر جحيمهم يسقطون بكل بساطة في الهوات الفردية المشلولة لعالم لا يرحم .. عاتم .. عاجز عن انقاذ خيرية المخلخلة بين عجلتي دراجة « كان بطن خيرية يختلج وكانت عجلة الدراجة تدور في الفضاء . رفعت رأسها ونظرت حولها . ودون ان تعي مدت يدها فلمست العجلة ثم سحبت اصابعها وقد تلوثت بالقذارة وخيل اليها ان العجلة سوف تفترسها ».

هذه الرمزية المتبصرة ترسبت في وعي خيرية على نحو مقصود، ولعلها احدى ميزات « هاني الراهب » المعروفة في خلق المواقف المتقابلة والمتناقضة مما يشحن اللحظة بازدواجية مفعمة بالانفعالات والامتدادات البصيرة .

بعد هذا الركض المجنون والتجاذب المنخلع بين الله والاندفاعات الانسانية التي تود ان تتفجر على سطح العالم ، هل حلت المسألة بانتحار خيرية عندما عجزت عن التلاؤم بين حدي المشكلة المطروحة ؟ ثم ما رأي صانعي الاخلاق وتجار الاديان على ارضنا المتعبة ؟

يقول ـ عبد الجبار ـ الاثم طبعا ـ رغم تظاهره بالايمان :

ـ من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل الله فلا هادي له ، أي اذا أراد الله ان يعذب نفسا فلا احد بمستطيع انقاذها وكذلك اذا انقذ الله نفسا فليس من يمكنه تضليلها .

وهو الذي يقول في ص ٨١ : وقد زاد مشكلتك حدة ان كل الناس الذين حولك خطاة ايضا وضالون .

وفي مقطع اخر : ان العالم الذي يحف بك مليء بالضمائر الملوثة.

هذه الشخصية المنقسمة المتناقضة ، والواقعية في نفس الوقت، تطلق احكامها الغبية لتشوش عالم خيرية وتزيده ارتباكا وضياعا. ولو وقفنا لحظة في مواجهتها لكان عليها ان تجيب على الكلمة الخالدة ليسوع: « من كان منكم بلا خطيئة فليرجم هذه الزانية بحجر » .

وهكذا تسقط بخجل ضمني جميع الحجارة الى الارض وتتقدم خيرية قاذفة رعبها الى الجحيم كما عبر لطف : «خيرية ، بنت جحيمنا».

وبالتالي فهي « نحن » وعندما ندينها فالعالم لا بد ساقط في اشراك الادانة ، واذن لا بد عندها من نبي جديد يحرق جميع هؤلاء الملوثين ليعيد النظر في كيفية صنع العالم على نحو مغاير لا يلبث ان يأثم يوما لان جميع الانبياء وجميع الخلقيين عجزوا عن منع استشراء الاثم . وهكذا تتكرر اللعبة الى نهاية الدهر وجميع هذا يتم على حساب الانسان هذا الذي يقول عنه الله :

« انا خلقنا الانسان على صورتنا » ثم وفي كل لحظة يتركه معلقا يتصارع مع اقداره التاعسة التي لا تعرف الرحمة آي ببساطة يتخلى عنه لانه معطوب لا يستطيع ان يقدم له شيئا.

ان تجربة « خيرية » مع الاقدار المشلولة اليابسة تؤكد عطب العجلة الخلفية وقصورها عن الخلاص الذي تبحث لاهثة خائبة عنه.

وخيرية الانسانة الحقيقية البريئة التي تطلب الحياة بعفويتها الخالصة تجابه بكل براءتها نوعيات من البشر المصابين بالقصور والعطب.

«دسوقي» المسلم العادي المطعم بالبلاهة معطل الارادة لا يملك قدره وهو خانع لارادة غيبية موروثة خانع بالفطرة لجبروت زوجته الاولى ولهذا فهو يتخلى عن خيرية.

تطلب « الاداب »

وكتب « دار الاداب »

في الجزائر

من مكتبة النهضة الجزائرية

٣٧ نهج عمر القامة

الطلاب السوريون المخزونون بالعقد الميتافيزيقية الراغبون بالجسد ـ لا الانسان ـ في خيرية قاصرون عن حل ازمة خيرية رغم محـــاولات الفهم الشمولي للحالة المستعصية . وتضيع المشكلة في غمرة احاسيسهم الفوقية والتحتية وتعقيداتهم الذاتية . فرحيلها لا يترك اية فجوة فـي اعماقهم وهم يعانون من خارج ، فمثلا يقول لطف بكل سوقية باهظـة : كل النساء اللواتي يأتين الى هنا متزوجات ولهن اولاد ايضا. ويقـول سعد على طريقة الرؤيا الصادمة للحل: ستكون اقامتها معنا تجربة مثيرة. ويرجم اديب باستهزاء جنسي مهتريء : اين حبيبتنا ايها المربي الكبير؟

ويفشل عبد الجبار باعتباره الممثل الرباني المربي في ادراك الحالة ـ الازمة ان لم نقل انه يعقدها بقصوره اللاواعي . وتندفع خيرية هكذا بطريقة اعتباطية الى الزواج ثانية بلهفة راكضة عليها تجد نفسها في أي رجل . ولكنهم جميعا مخيبون . فحتى هذا الاخرق الجديد يقـول لهـــا بدونية : « اعرفي انك لذيذة . لذيذة لذيذة . انت اجمل امرأة في القاهرة . جسمك اجمل جسم في العالم ..

هذا الاحمق رغم رفضه الجحيمي للالهة والاخرة وتصريحه بلا رعدة انه يهوى جهنم قاصر عن فهم « خيرية » وبالتالي لا يمكنه ان يهيء لها الخلاص لان الانسان فيه لاصق بالنبض اللذيذ المشهى لجسد خيرية.

يبقى هذا « الاسيان » ملازم الشرطة ربما استطاع ان يفهـــم خيريـــة :

« انني ابحث عن مجرم حقيقي في هذا العالم وانت لست مجرمة »

لكنه مصاب بالقصور لا يعرف الحل لان المعركة محتدمة منـــذ البداية . الازمة معقدة وتمتد الى الاف السنين وملازم شرطي لا يستطيع في لحظة ادراك لحالة فردية ان يبني عالما نابضا ذا حياة ، ولا بد انه قد ادرك بعد فوات الاوان . فدماء خيرية التي نزفت اشارت بعمق وحرارة مفجعة الى مواطن العطب والقصور في العالم في لحظة كان فيها الملازم يفلسف قضيتها :

« قبلت كل انسحاب ، مطاردة بشعورها المدمر بالاثم » .

اذن تخلى العالم عن «خيرية» التي تبدو الان رمزا وتركها تنوس في البوادي المقفرة بلا انقاذ ، مثبتة توحد الانسان في المواجهة المصيريـــة ومثبتة ايضا العجز العمومي في الطاقات الانسانية ووجوم الالهة في التطلب الابدي خلف الابعاد الهزيلة اللامجدية .

وهكذا جاء الانتحار احد ردود الفعل الطبيعية كاجابة حاطمـــة للجدر الصماء التي تستعصي على الهدم . ولعل هذا الموقف الانتحـاري رغم افتقاره الحراري ورغم ظهوره وكأنه مفتعل يبقى موقفا ممجـــدا عندما نتذكر الخيبات المتلاحقة التي عبرتها تلك الـ « خيرية » من خلال كل اولئك البشر المعطوبين . ان التمرد هنا يعني مزيدا من المعانـــاة الفقيرة .. مزيدا من العبث الصرف .. ولقد تعرى الانسان والله في خيرية بما فيه الكفاية وعندما حلت لحظة اللاامكان او نفود الطاقة كان لا بد من لفظ العالم بتلك الطريقة البائسة .

بعد هذا كله هل اتحدث عن فنية القصة رغم ايماني بان لكل مفكـر طريقته الخاصة في العرض والعطاء وللاثر ـ أي أثر ـ ان يقيم ذاته ؟

ومع هذا لي كلمة في هذا المجال ..

افتقرت القصة للحرارة . فقد كانت يابسة تكاد تنعدم فيها الحيوية مما يدل على انها كتبت من خارج ، وفيها افتعال مفضوح ، يبدو هـذا في افتعال دراجة اديب القادمة من الاسكندرية حاملة سعد واديب معـا لا لشيء الا لخلق الارتباط بين الدراجة الاولى لدسوقي ودراجة اديب.

ثم عودة اسيان ليشهد انتحار خيرية وربط الشريان المقطوع.

ان المحاولة لاعطاء القصة ارضية خاصة باللهجة المصرية لتقريبهـا من الواقعية محاولة فاشلة ، لكن هذا لم يمتد طويلا فقد طغت الفصحى على العامية واحيانا بطريقة عميقة من نماذج عادية غير مثقفة .

لا اود ان امتد طويلا وانني اترك لاولئك المعقدين تكنيكيا سلطـــة تـهشيم القصة من تلك الزاوية المظلمة .

فسواء انجحت هذه القصة من الناحية الفنية ام فشلت ، فهـي تعرض مشكلة كسر باب المغارة المسحورة في محاولة للنفوذ نحو الشمس .. نحو العوالم المعاصرة و « خيرية » الشهيدة على باب المغارة هـي « مارلو » شهيد الالهة على ارض اخرى .

دمشق — حيدر حيدر

العروبة والاسلام

بقلم ماجد حكواتي

من المسائل التي تواجه الثـورة العربية المعاصرة ، وتتطلب توضيحا والتزاما خلافا ، موقف الثورة من الاسلام . ان كثيراً من التساؤلات تطرح على امتداد الوطن تحاول ان تستكشف العلاقة الحقيقية بين الثورة العربية وبين الاسلام . هل تقف هذه الثورة من الاسلام موقفا عدائيا ، بحيث تشطب هذه الكلمة بكل ما تحمله من امتدادات واسعة من حقل العمـل الثوري ؟ أم ان الثورة ستمد يدها الى الاسلام وتتصادق مع افكـاره وتقيم بينها وبينه جسرا من العطاء والاخذ ، أم ستعتبر ان الاسلام قـد أصبح مخلفات أثرية يسمح لها بالحياة فقط بين رفوف المتاحف وفـي صفحات الكتب الصفراء ؟

لكي يكون موقفنا صائبا ، علينا في البدء ان نبحث في الاســـلام عبر التاريخ كمذهب تفاعل مع ماضي العرب وما قدمه للحضارة العربية من أسس عملية وفكرية، وان نبحث في الإسلام كنظام انساني وعما يمكننا أن نجد فيه في مرحلتنا الحاضرة من مناهج سلوكية وعقائدية قد تـلزم لنا في جهادنا الطويل من اجل التقدم .

ان الاسلام كان بالنسبة للعرب ـ تاريخيا ـ ثورة بأقصى ما تحمله هذه الكلمة من امتدادات . واذا كانت أي حضارة لا يمكن ان تقـــوم بدون دليل نظري وبدون توفر كتلة بشرية حية متجانسة يمكنها بفضل حرارتها الداخلية وتضحياتها المستمرة ان تفتح طريق الابداع ، فـــان الاسلام قد كان بالنسبة للعرب هذا الدليل الحي وهذا الرباط الانساني الذي حول مجموعة من القبائل المتفككة الى أمة متماسكة . فلاول مـرة يجد الانسان العربي ، الذي كانت قبيلته هي الاطار الوحيد الذي يربطه بالاخرين ، أن هناك أفقا أوسع ينتظره وأن رباطا اخر يشده بالمحيط الواسع الذي يضمه ، ألا وهو رباط العقيدة ، وبذلك تنهار الاســـوار القبلية ويصبح الانسان خلية حية في جسد المجتمع الكبير ، خلية تلتقي فيها كل الام وامال المجموع ، ويجد ان ميزانا اخر يوضع للقيم ، ميزانـا انسانيا رحبا « ان افضلكم عند الله أتقاكم » ، التقوى التي تتضمن السلوك الفردي السوي بقدر ما تتضمن اذابة وجود الفرد وقواه في المصلحة الاجتماعية العامة . ولاول مرة يجد الانسان العربي الذي كانت تغل قواه قيود السطحية والجدب والذي كانت حياته تدور في حـــلقة مفرغة من المنازعات التافهة وفي الامور المعاشية المباشرة ، انه أصبـــح صاحب رسالة عالمية ، فهذا الانسان الذي كان معزولا عن العالم وعـن تياراته الفاعلة يجد لاول مرة انه ينتمي لهذا العالم الواسع الرحب وانه مسؤول عما يجري فيه وان عليه ان يبذل كل طاقته من اجل بناء عـــالم افضل ، فاذ بقواه المختزنة تتفجر ملتحمة فيما بينها لتكوّن أكبر مـــد حضاري شهده العصر الوسيط.

ان الحضارة العربية التي نعتز جميعا بانجازاتها وأبعادها الايجابية ليست الا نتيجة مباشرة وحتمية للثورة الاسلامية ، وبدون الاسلام الذي هز وجود الانسان العربي لم يكن من الممكن خلق هذه الحضارة التي أظلت العرب والانسانية حقبة طويلة من الزمن ، واذا كان الاسلام هو الـــذي أطلق امكانيات الانسان العربي ، كذلك فهو الذي آمد القومية العربيـــة أو

حافظ على كثير من مقوماتها الاساسية . فاذا كان الوجود العربي الموحد يرتكز على توفر لغة واحدة وتاريخ واحد وثقافة مشتركة ومثل عامة متجانسة ، فان الاسلام هو الذي حفظ ونمّى أقوى الروابط العربية وهي اللغة . ان الاسلام هو الذي وحد اللهجات القبلية المختلفة وصبها في قالب واحد ، فحفظ اللغة من التشتت والانقسام، وهو الذي منح هذه اللغة الواحدة من قدسيته ظلا من القداسة والحرمة ، بحيث أصبح الحفاظ على اللغة وتعلمها وتنميتها واجبا دينيا . والاسلام بواسطة كتابه المقدس المنتشر في أرجاء العالم العربي والذي كانت تلاوته احدى الطاعات اليومية التي يقوم بها المسلم قد جعل هذه اللغة الموحدة مستمرة في الحياة مترددة على كل لسان . وبسبب الشعور الديني وجدت الكثير من العلوم اللغوية سبيلها الى الحياة فالنحو والصرف والمعاجم لم تكن أسباب انشائها الا أسبابا دينية صرفة . أما من ناحية الثقافة العربية التي أعطت وجودنا أرضية خصبة فان الاسلام الذي حمل في جوانحه أينما سار العروبة قد قدم للعرب قمما فكرية كان الاسلام هو السبب الوحيد لتعريبها . ونحن عندما نذكر ابن سينا وابن الرومي وبشار بن برد وياقوت الحموي وسلسلة طويلة من الادباء والشعراء والفلاسفة لا يمكننا الا ان نعترف بفضل الاسلام الكبير الذي عرب هذه الشخصيات وجعلها تصب نتاجها الخصب في نهر الثقافة العربية . اما بالنسبة للتاريخ الذي يمثل روح الامة والذي تبرز من خلال خطوطه البيانية كل خصائص الامة ومميزاتها ، فقد أعطانا انقلابه الرائع ابدع صفحات تاريخنا وابرز خطوطه وانعطافاته . فكما ان الثورة الاسلامية قد قدمت لنا شخصيات عالمية غيرت وجه الشرق لمصلحة العرب والانسانية مثل النبي محمد وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وعقبة بن نافع ، كذلك قدم لنا الاسلام بفضل صهره للعناصر غير العربية تحت ظلال الوجود العربي كثيرا من الاعلام البارزة في تاريخنا كطارق بن زياد وصلاح الدين الايوبي . ان الاحداث الاساسية في تاريخنا قد ساهم الاسلام مساهمة فعالة في تكوينها ، فالقادسية وحطين واليرموك ليست الا شرارات رائعة من ذلك الانفجار الخلاق الذي حرر المارد العربي من أغلاله .

لقد حمل الاسلام أينما ساد وأينما توجه في عناق حميمي رائع العروبة والثقافة العربية ، وبفضل الاسلام أمكن تعريب كثير من أقسام الوطن العربي الحالية ، واصبح هذا الوطن يرتمي بين المحيط والخليج. فشمال الجزيرة العربية وشمالي افريقيا كان يعمرها كثير من الاجناس غير العربية كما كانت تمور بكثير من الثقافات واللغات المختلفة،واستطاع العرب بفضل الاسلام وبفضل ايديولوجيته المتقدمة ان يقهروا هذه اللغات والثقافات الاجنبية وان يحلوا محلها اللغة والثقافة العربية وان يدمجوا العناصر الاجنبية ويجعلوها تذوب او تشارك في معركة الوجود العربي في سبيل الخلق والحضارة .

ولنا أن نسأل الان ماذا يمثل الاسلام بالنسبة لحياتنا الحاضرة ؟

يلاحظ اولا ان هناك نقصا خطيرا في تفكيرنا القومي ، فبينما يؤكد كثير من الكتاب على المقومات المادية والاقتصادية للامة العربية يتغافل اكثرهم عن دور الاخلاق في بناء الانسان العربي الجديد . ان الاخلاق الشخصية التي تكون قواعد السلوك الفردي للانسان في حياته اليومية ليست ترفا زائدا لا يصح ان نلتفت اليها أثناء بحثنا في الضرورات الحياتية ، بل انها احد المقومات الرئيسية للفكرة العربية واللون المميز للانسان العربي في مواجهته للعالم الخارجي . فالامة العربية ليست عددا متراكما من الناس تشده مصالح اقتصادية واحدة بل هي فوق ذلك عجينة متماسكة يغلفها رباط واحد من القيم السلوكية ومن العلاقات الروحية الصميمية . ولا يمكننا ان نعثر على الاخلاق العربية الاصيلة مصفاة الا ضمن الاسلام ، فالاخلاق الاسلامية ليست علاقات غريبة عن العرب فرضت عليهم من اعلى ، وليست قيما سلبية محنطة ، بل هي قيم ايجابية حية نبعت من داخل الظروف العربية . فالاسلام قد أكد جميع الاخلاق العربية السوية ونماها وأعطاها بعدا عقائديا كما انه نفى عن الانسان العربي جميع تهيجاته الضارة وسكب جميع قواعده السلوكية في منهج واحد متكامل أضفى عليه الدين ظلا من القداسة والاحترام . فالشرف والصدق والكرم والايثار كلها قيم نحن بأمس الحاجة الى غرسها في نفوس الجيل الناشيء . وان الاسلام الذي ضرب سياجا عازلا بين الشعب وبين مظاهر الانحلال الخلقي قد حرص على تكوين الفرد المتزن المتوجه ببصره الى أفق المشاكل الحقيقية الواسعة لامته. فعلى موائد الخمر وفي باحات الاثارة الجنسية الصارخة لا يمكن ان ينشأ الا الانسان المنخوب الفارغ الذي يشكو الضياع والنفي بينما امته متخومة بالمشاكل المصيرية .

اننا بحاجة الى جيل من الشباب الجديين الذين يستطيعون ان يخفتوا نزعاتهم الذاتية امام متطلبات واقعهم . اننا بحاجة الى قاعدة صلبة من الارادة الواعية داخل كل فرد عربي تمكنه من حمل مسؤولياته بكل جسارة ، وليس مثل الاخلاق العربية التي يتضمنها النظام الاسلامي من وسيلة لانشاء جيل من ذوي الضمائر اليقظة الحية من الشباب الايجابيين الذي يحسون برقابة داخلية صارمة تمثل بالنسبة لهم الرادع والحاجز ضد أي انحراف مصلحي أو طبقي. والاسلام لا يتوقف عند احتضانه للاخلاق العربية التي هي نقطة الانطلاق والبداية الصحيحة بالنسبة له ، ولكنه يحمل معه ذلك أثناء اجابته الجذرية على مشاكل الاقتصاد والحكم والعلاقات الاجتماعية ، وهو لا يضيق بالتساؤل او الخبرة الانسانية ، بل هو يفتح الباب الواسع للعقل الذكي لكي يستعمل كل طاقته في تفصيل الخطوط الاساسية التي يحتويها وفق البنية الحية للمجتمع بدون أي تعصب او ضيق في الافق . ومن المحزن بل من المخجل أن كثيرا من المثقفين لا يزالون يشعرون بنوع من القرف والاستعلاء على كل شيء نتج في البيئة العربية وهم مع مزاملتهم الطويلة للتراث الغربي واعلان انتمائهم له لا يفكرون ولو لبرهة قصيرة في تراثهم الايديولوجي الضخم ، وهم لا يقتربون منه ان اقتربوا الا من خلال سياج من الاحكام المسبقة التي كونها اعداء هذا النظام . اننا بحاجة خلال بحثنا عن ايدبولوجية خاصة بنا لا الى الاقتباس او النقل عن تجارب غيرنا فقط، بحيث نفقد هويتنا الخاصة ، وان كنا لا نرفض التأثر الايجابي بكل ما هو مفيد خارج حدودنا ، ولكننا بحاجة ايضا ان ننظر بعين متجردة وواعية الى النظام الاسلامي ، لا باعتباره دين طقوس ، بل باعتبار انه نظام اقتصادي ومفاهيم انسانية وعلاقات اجتماعية ، وان نتجرد من ترسبات الخوف او التعصب التي تبعد بنا عن كل نظرة موضوعية علمية ، لكي نستخرج من تراثنا كل ما هو حي وايجابي لكي يكون حاضرنا بعثا خلقا لماضينا ، ولكي نقيم بناء عربيا له كل ملامح الشخصية العربية عبر تاريخها الحركي الطويل . ان من العقوق بعد ان رافق الاسلام كل خطوات الحضارة العربية مرشدا ومفجرا ، وأقام النصب الخالدة في ساحة التاريخ العربي ، ان ننتكر لهذا النظام ونرتعش حتى من ذكر اسمه . ان الكفر بالاسلام يعادل على نفس المستوى من الاهمية الكفر بالقضية العربية كقضية حية نامية تكونت عبر حقب مرامية من الزمن. واذا كان البعض يحاول ان يعرض الاسلام في صورة «بعبع» يهدد وحدتنا الوطنية ويجمد كل قيمنا الثورة الايجابية ، فليس ذلك الا موقفا مغاليا في التعصب . فاذا كان من ابرز صفات الديمقراطية أن يكون رأي الاغلبية هو الرأي الذي يدخل مرحلة التطبيق بدون أي مساس بحرية المعارضة وبحرمتها ، فان النص في دستور الدولة الاتحادية الجديدة على ان دين الدولة هو الاسلام يمثل تعبيرا ديمقراطيا عن معتقدات الاغلبية التي تدين بالاسلام . وليس معنى ذلك فرض هذا الدين على جميع سكان الدولة لان ذلك تعارضه النصوص الاسلامية الصريحة وتاريخ الاسلام التطبيقي. واذا كان هناك من يخشى على امتعاض خمسة ملايين مسيحي عربي من ذكر ان دين الدولة هو الاسلام ، فان هناك عشرة ملايين مسلم غير عربي يعيشون بيننا ومع ذلك نقول بملء افواهنا ان دولتنا هي دولة عربية . فلم لا يخشى الذين يحاولون اثارة الغبار على شعور هذه الجماعة الكبيرة ؟ وكما ان قوميتنا العربية قومية انسانية لا عنصرية تؤمن بحق الاقليات العنصرية في الحياة والمشاركة الحرة المسؤولة مع الاغلبية العربية ، كذلك فان الدين الاسلامي هو دين لا تعصبي

يؤمن بحق الاقليات الدينية بمطلق الحرية في ممارسة شعائرها ويترك لها الباب واسعا للاندماج مع الاخرين في مضمار الحياة اليومية .

ان المسيحي العربي الذي يؤمن بعروبته لا يشعر بأي كره للاسلام، لان الاسلام اذا لم يكن دينا له فهو تاريخه المشرق وهو ثقافته الخصبة، والاديان جميعها ليست الا وجهات نظر تنطلق من نقطة واحدة ، وان المؤمن بأي دين أقرب الى المؤمن بدين اخر من انسان ملحد . وليس التعصب والكره الطائفي نابعا من الاديان بقدر ما هو نابع من فئة من المتاجرين بالاديان . والدين كأي مبدأ اخر معرض للاستغلال ، وان امكانية استغلال اي مبدأ لا تبرر لنا الابتعاد عنه . وفضلا عن ذلك فان هناك ثلاثمائة مليون مسلم خارج العالم العربي ينظرون الينا نظرة من التقديس ، وبامكاننا ان نكون مصدر اشعاع عقائدي وثقافي لهم .

ان الاعتراف بأن دين الدولة هو الاسلام في دستور الوحدة ليس موجها أبدا ضد اخواننا المسيحيين ، بل هو موجه بصورة أساسية الى فئة من الملحدين حاولوا بكل وسيلة أن يقطعوا كل الجذور التي تربطنا بتراثنا وتاريخنا .

ان الموقف الضروري والوحيد الذي على الثورة العربية المعاصرة ان تتخذه من الدين الاسلامي هو موقف التفاعل والمصادقة ، ان ذلك لا يشكل الا اعترافا بالدور الانشائي العظيم الذي لعبه الاسلام في تكوين تاريخنا ، وان الموقف التقدمي لا يكون ابدا بالابتعاد عن الدين ومعاداته، اذ أن علينا ان نتخلى عن المراهقة الثورية في مستهل عهد البناء الذي نمر به ، فاذا كانت المراهقة قد تصور لبعض الشباب ان التدخين والتمرد على نصائح الابوين هي مظهر الرجولة الوحيد ، فان بعض من يدعون التقدمية ويتحدثون عن العامل والاشتراكية وهم يتناولون الوسكي ويتحدثون عن العرب والعروبة وهم غارقون الى اذانهم في كل ما يصدر عن الغرب من قيم فكرية وسلوكية ، يتصور هذا البعض ان الثورية هي التمرد على كل قيمة عربية ورفض كل ما يقدمه لنا الواقع من معطيات . ان هذا الموقف الانفعالي السلبي المنطلق من ترسبات ذاتية لا يحسن بنا ان نستعمله ونحن نحاول ان نقيم بناء راسخا له كل مقومات الخلود والاستمرار . ولا يمكن لنا ابدا ان نفصم هذا الترادف الحميمي الخلاق بين كلمتي عروبة واسلام بدون ان نحرم كليهما الجو الملائم والارض الصالحة لوجوده .

حمـاه — ماجد حكواتي

على رسلك يا أخي

بقلم جميل حسن

على رسلك يا أخي « حسين علي صعب » !. انت لاتعرفني ، كما انني لااعرفك ، وليس بيننا ترات قديمة ، ولا معارك سابقة .. لتقوم الي حاملا عصاك تتحدى . انا قلت كلمة في قصيدتك .. قلت مارأيت انه الحق . وهل يلام امرؤ ان أخطأته عيناه ، او أخطأه فهمه ؟. وهل تظن انني شهرت عليك السلاح ، لتثور كل هذه الثورة ، وترميني بكل هذه التهم ؟. أفما كان بمكنتك ان تقول : ان الناقد لايعدو ان يكون احد رجلين .. رجل يفهم مايقرأ ، ويفهم مايقول ، ومثل هذا من الحكمة والصواب ان أستفيد من آرائه ، والمثل العربي يقول : « أخوك من صدقك لا من صدقك » . او رجل جاهل لايفهم مايقرأ ولا يفهم مايقول . ولمثل هذا يمكنك ان تقول ماقاله الامام علي منذ اربعة عشر قرنا : « والله ماغالبت جاهلا الا غلبني » .

لقد كان بمقدورك ان تقول الثانية بينك وبين نفسك ، وتوفر عليها ماحملتها اياه من ثورة ومن غضب اخرجك عن طورك « وليس الشديد بالصرعة ، بل هو من ملك نفسه عند الغضب » . وهل تعتقد ياصديقي ان سجال الاقلام بالتهم والتحدي أجدى ؟. أم هل ترى ان رحابة الصدر ، وسعة الافق غير لازمتين للاديب ؟. وان الصبيانية والغرور خير ماينزود به ؟..

انا لست هنا لارد عن نفسي التهم ، فما انا الا انسان يصيب ويخطيء . ولست هنا لاحمل سلاحي والقاك في منتصف الطريق ، لان بيني وبينك سدا من القراء يمنعني ويمنعك ، وانا احترم قرائي غاية الاحترام .. بل لاقول لك — مخلصا — ان كان هذا خلقك الادبي فان من المفيد لك ان تتريث في النشر حتى يكمل ادبك وتصل درجة الفحول ، وهنالك تغدو رائدا يتلمس الناس خطاك دون ان يجرؤوا على ان يدخلوا محرابك الا خاشعين .

وأود — هنا — ان أسألك : هل من المناسب ان نذنب وندعو الناس الى حمل أوزارنا ؟. انا لاأدعي العلم والمعرفة ، وحسبي ان اكون طالب علم ومعرفة ، لكن .. متى كانت النقطة او الفاصلة معيارا للبيت الشعري وفي أية لغة يحصل ذلك ؟. وكيف تميز القصيدة الشعرية من قطعة النثر ؟. وهل يعتبر مجرد ايراد تفعيلات من هذا البحر او ذاك — بلا نظام وبلا هوادة — عملا شعريا ؟. أليس من الواجب ان نأخذ انفسنا ببعض العناء ، وبعض الالتزام الفني عندما نكتب شعرا ليقرأ ؟. وهل يحق لقصيري الفهم والثقافة من امثالنا ان يهدموا تراث أمة ، ويأتوا بما لاعين رأت ولا اذن سمعت ؟. ويقولوا : اننا نجدد ، لا .. يا عزيزي.. اننا بهذا لانجدد وانما نهرف بما لانعرف . لا .. يا عزيزي !. ليس هذا تجديدا ، وانما هو هذيان ، ان هذا التجديد مرفوض شكلا وموضوعا (كما يقول الحقوقيون) لانه عدوان على الامة بتراثها اولا وباذواق ابنائها ثانيا . نعم — يا عزيزي ولو شحذت سكينك هذه المرة — انني ارفض مثل هذا التجديد لاني ارفض ان يلقى الحبل على الغارب بدعوى التجديد .

كلنا يقرأ الشعر الغزلي (ومنه مصدر آفاتنا) ويعلم ان فيه الكلاسيكي ، والمجدد . ولكن مجدديه لم يهدموا قديمه بل اضافوا اليه ثروة جديدة وغنى جديدا ، ولم يعتبروا الفواصل والنقاط معايير للبيت الشعري . أما نحن — واسمح لي ان امثل لك — فشأننا مع التجديد في الشعر كشأن سيداتنا مع الازياء . ان لباس الغواني ونجوم السينما هو مجال تقليد سيدات الطبقة الراقية عندنا مع الاسف . واما ربات الخدور في الغرب (ان صح التعبير) فلا يأبهن بهن لانهن يعشن الحياة بعمق وكرامة .

ان البيت الشعري — ياعزيزي — اذا كنت لاتعلم ، عدد معين من التفعيلات تحفظ موسيقى الشعر (والموسيقى هي العلامة الفارقة بين الشعر والنثر) ، قسم العرب تفعيلات البيت الواحد في شطرين متساويين عددا ، او دوروا البيت أي وصلوا شطريه بنظام معين لتفعيلاته او اقاموا الشطر الواحد مقام البيت .. أو الخ .. وجعل المجددون التفعيلة أساسا للعمل الشعري بدلا من الشطر . لكنهم ظلوا — الى عهدك — يعتبرون ان البيت قد يكون تفعيلة واحدة ، وقد يكون اثنتين ، او ثلاثا الى الخمس ، ولم يطلقوها الى مالا نهاية لتغدو نوعا من الركض المضني المضيع للهدف ولمعالم الطريق من الاصابة بالدوار .

ومن هنا — ياطويل البال — اضطررنا الى الاكتفاء بالاشارة الى الوزن في قصيدتك لاننا كنا ننقد شعرا لانثرا ، ولاننا نرى ان حركة التجديد متى أطلقت هكذا اصبحت عامل تخريب وتآمر ، وفي احسن الافتراضات عبثا لاجدوى منه . وبيني وبينك رائدتكم الشاعرة « نازك الملائكة » . فقد كفتني ايراد الامثلة .

ماأحوجنا — نحن الناشئين — الى خلق الصبر !. بل .. ماأحوجنا الى من يرافقنا في وعورة الطريق !. وأما السباب ، وخلق السباب .. وأما النزق وحمل السيوف والتروس ، فلغيرنا . نعم .. لغيرنا — أيها الاخ الصديق — ..

طرطوس — جميل حسن

حول العامية والفصحى

بقلم : عبد الامير الأعسم

تطالعنا الاداب في عددها الاول من عامها الجديد بمقال للاستاذ يوسف الشاروني وهو لعمري مقال دسم شكلا وموضوعا وارتباطا بحيوية التأليف عند الروائيين والمسرحيين العرب . واني لاسجل اعتزازي بقوة ملاحظة وتتبع الشاروني النقدية ، رغم علمي بانه قصاص ناجح ، ولكن ليس كل ما جاء في موضوعه يمكن ان يطابق اراء جميع القراء واغلب النقاد واكثر المثقفين . ان موضوع الشاروني حيوي ، لكنه لم يتوسع فيه ، وثمة مرارة ظلت عالقة بفمي وأنا الفظ اخر كلمة من « المقالة » ، لعدم وجود مايحلي ذوقي وحلقي . لا اريد الذوق الزائف ، لكني وددت لو ان الشاروني مهد لنا سبيل الذوق في موضوعه ، فهو لم يعطنا الحلول المنطقية . لقد اكتفى بسرد وقائع وآراء لبعض معتنقي نهج العامية او الفصحى او الوسط . واذ تفضل مشكورا بهذا الرأي اول المقال : « وفي رأينا ان قضايا تيسير الكتابة العربية ، وتيسير النحو ، والنزاع بين الفصحى والعامية هي أهم ما تواجهه اللغة العربية اليوم من قضايا » . أقول ، هذا صحيح ، لكنما لم يعط الشاروني رأيا ، فهو يفسر معنى المشكلة بما يلي : « بحيث ان حل احداها ييسر الوصول الى حل غيرها » .

قبل كل شيء اريد ان أسأل الشاروني عن « حل احداها ييسر الوصول الى حل غيرها » ! ثم كيف يمكن ان نعتبر ان الكتابة بالفصحى ، ضمن آطار الاصول والضوابط النحوية مشكلة ؟ أنا أعتقد ان المشكلة هي العامية ، وتسرب محتواها اللفظي والفكري الى الحوار عند بعض الكتاب المحدثين والمعاصرين من العرب . ان موضوع الحوار مشكلة فعلا . وأوافق السيد الشاروني على ذلك ، لكني اعتبر ان مأساة التفكك البنائي في العمل الفني ، الروائي ، والمسرحي ، والاذاعي ، هي العامية . والى القارىء مثلا : اللغة اللاتينية اصل اللغات الاوروبية . أي ان قبل عصر النهضة كانت اللغات الاوروبية مجموعة للهجات عامية ينطقها سواد الناس من غير المثقفين في حياتهم اليومية ، وبتدرج عصور النهضة ، وببروز الطبقة البرجوازية او نشأتها ، صار محتما ان يتمخض عن ذلك انخفاض لغوي في الحوار يتناسب تناسبا عكسيا مع ارتفاع الفكرة . وهذا موضوع يجرنا الى الشكل FORME والمضمون CONTENU وهما موضوع الاصل الجدلي في التباس الذهنية او اسلوبها . فاذا كان موضوع الشكل معنيا به ارى من المناسب جدا ان تكون الفصحى هي الاداة الاولى المعبرة عن الاهداف والافكار والاصول في الحوار . واذا كان المعني به هو المضمون ، فليس جديرا بنا صياغة الفصحى ، اضافة الى اننا بعملنا هذا نشجع نمو لهجات اقليمية قد تصبح ، بعد هذا ، لغات كما حدث في أوروبا بعد النهضة .

وقد تعتبرني يا سيد يوسف آهذي ، كيف يمكن ان اقول : قد تصبح العامية الاقليمية لغة . انا اعتقد ذلك ، بل وأؤمن ان « المحليات » في العربية ، والمتداولة بين السواد الاعظم هي الغالبة اذا لم نرع وحدة المضمون والشكل في العمل الادبي . نحن لا نشجع القراء العاميين ، ولا كتاب العامية المطلقة ، حؤارا وسردا ، لاننا نعتبر ذلك تحديا لمفاهيم اللغة العربية ووحدة القراءة في الذهنية اللغوية بين اكثر من مائة مليون عربي .

ثم .. لماذا ندعي أن العامية ـ أصلا ـ هي أقرب الى الواقعية ، او ان الواقعية في أصولها ترعى العامية ؟! هذا التعدي السافر على حقوق اللغة العربية ومنطقها يدعونا الى محاربة المؤلفين في اللغة العربية سردا وحوارهم في تفكك العامية .

ان النقد البناء مسؤول عن التجربة التي يتمخض عنها الشيء الجمالي ، لا القبيح .. والعامية قباحة شكلية نزيف منظرها بالمساحيق كامرأة مسنة تزف لتوها عروسا تحت برقع لا يعني غير التقليد . الذين كتبوا في موضوع العامية والفصحى كثيرون ، ولكنهم لم يضعوا حلا معقولا . والشاروني يضع الحل الوسط بين العامية والفصحى ، على ان تنطق اقرب الى العامية ، وهي مجردة من الضوابط اللغوية في الفصحى . هذا أمر هو الاخر جدير باهتمام كل المجامع اللغوية ، وهو الى جانب ذلك موضوع جديد حيوي ، غير انه ينزف دما ، وسيكتب له الموت عاجلا او آجلا . هناك فقط فكرة واحدة في موضوع الحوار المتوسط ، أو الوسط ، ان ترصع العامية اللغة الفصحى ، وهذا ليس خروجا على قواعد اللغة ، وهو ما يحدث عند الروائيين الشباب في لبنان والعراق وسوريا والجزائر وتونس ، كمدرسة انتمائية بمحض تجربة طويلة لكتابات النابغة نجيب محفوظ ! نجيب وحده المؤمن بالحوار بالفصحى ، المرصع بالعامية ذات الجمالية التكنيكية .

بعد هذا كله أحصر الموضوع في نقاط ثلاث :

١ ـ العامية تشعر القارىء العربي ، البعيد عن موطن مصدر هذه العامية ، بالغربة ، وهي مفسدة فكرية ، وتجاوز على معاني المصير والهدف واللغة والثقافة في الوطن الواحد .

٢ ـ العامية ، ان هي ظلت ترعى من قبل الكتاب الروائيين والمسرحيين والاذاعيين ، في الحوار تساعد على ابقاء الاقليمية اللغوية ، ونشوء قواعد وضوابط جديدة لها من غير اللغة الفصحى ، وعندئذ تكون عدوة للتفاهم العربي ، فتصبح كما تنبأ المرحوم سلامة موسى لغة اقليمية صادرة عن أصل هو اللغة العربية ، آي ان يوما يجيء ستكون هناك لغة سورية لبنانية . ولغة عراقية ، ولغة مصرية . ولغة بدوية . ولغة سودانية . ولغة مغربية . وهذا عمل في منتهى التزييف والجرم على مستقبل التراث الادبي واللغوي .

٣ ـ ان البناء الروائي او المسرحي او الاذاعي في العمل الفني يفقد صفاته الموضوعية احيانا ، وقد يفقد الجمالية ، والتوسعية ، كما يحدث في قصص عبد القدوس والسباعي والحكيم في المسرحيات «اللاذهنية!!» وكما يحدث عند كل الادباء الذين يكتبون حوارهم بالعامية ..

واخيرا ، هذه نقاط اردت ان اسجلها كقاريء عربي ، وككاتب عراقي من حقه ان يشعر بمسؤوليته تجاه العمل الفني ، ومعطياته . وأود ان يصدقني الشاروني في ثلاث او اربع كلمات هي : العامية انتكاسة للاديب المعاصر .

عبد الامير الأعسم

صدر اليوم :

تأليف الاستاذ ميشيل عفلق

في سبيل البعث

طبعة جديدة موسعة

دار الطليعة ـ بيروت ص.ب ١٨١٣